الجزء الأول من الكشاف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل القرآن كلاما مؤلفا منظما، ونزله بحسب المصالح
منجما، وجعله بالتحميد مفتتحا وبالاستعاذة مختتما، وأوحاه على قسمين متشابها ومحكما
وفصّله سورا وسوّره آيات، وميز بينهن بفصول وغايات، وما هي إلا صفات مبتدئ
مبتدع، وسمات منشئ مخترع، فسبحان من استأثر بالأولية والقدم، ووسم
كل شيء سواه بالحدوث عن العدم، أنشأه كتابا ساطعا تبيانه، قاطعا برهانه،
وحيا ناطقا ببينات وحجج، قرآنا عربيا غير ذي عوج، مفتاحا للمنافع الدينية
والدنياوية، مصدقا لما بين يديه من الكتب السماوية، معجزا باقيا دون كل معجز على
وجه كل زمان، دائرا من بين سائر الكتب على كل لسان في كل مكان، أفحم به من طولب
بمعارضته من العرب العرباء، وأبكم به من تحدي به من مصاقع الخطباء، فلم يتصد
للإتيان بما يوازيه أو يدانيه واحد من فصحائهم، ولم ينهض بمقدار أقصر سورة منه
ناهض من بلغائهم، على أنهم كانوا أكثر من حصى البطحاء، وأوفر عددا من رمال
الدهناء، ولم ينبض منهم عرق العصبية مع اشتهارهم بالإفراط في المضادة والمضارة
وإلقائهم الشراشر على المعازة والمعارة، ولقائهم دون المناضلة عن أحسابهم الخطط
وركوبهم في كل ما يرومونه الشطط، إن أتاهم أحد بمفخرة أتوه بمفاخر، وإن رماهم بمأثرة
رموه بمآثر، وقد جرد لهم الحجة أولا والسيف آخرا، فلم يعارضوا إلا السيف وحده، على
أن السيف القاضب مخراق لاعب إن لم تمض الحجة حده، فما أعرضوا عن معارضة الحجة
إلا لعلمهم أن البحر قد زخر فطم على الكواكب، وأن الشمس قد أشرقت فطمست نور

الكواكب

الكواكب، والصلاة على خير من أوحي إليه حبيب الله أبي القسم محمد بن عبد الله بن عبد
المطلب بن هاشم، ذي اللواء المرفوع في بني لؤي، وذي الفرع المنيف في بني عبد مناف بن قصي
المثبت بالعصمة، المؤيد بالحكمة، الشادخ الغرة، الواضح التحجيل، النبي الأمي المكتوب
في التوراة والإنجيل، وعلى آله الأطهار، وخلفائه من الأختان والأصهار، وعلى جميع
المهاجرين والأنصار. اعلم أن متن كل علم، وعمود كل صناعة، طبقات العلماء فيه
متدانية، وأقدام الصناع فيه متقاربة أو متساوية، إن سبق العالم العالم لم يسبقه إلا
بخطا يسيرة، أو تقدم الصانع الصانع لم يتقدمه إلا بمسافة قصيرة، وإنما الذي تباينت
فيه الرتب، وتحاكت فيه الركب، ووقع فيه الاستباق والتناضل، وعظم التفاوت والتفاضل
حتى انتهى الأمر إلى أمد من الوهم متباعد، وترقى إلى أن عد ألف بواحد، ما في العلوم
والصناعات من محاسن النكت والفقر، ومن لطائف معان يدق فيها مباحث الفكر، ومن
غوامض أسرار محتجبة وراء أستار، لا يكشف عنها من الخاصة إلا أوحدهم وأخصهم، وإلا
واسطتهم وفصهم، وعامتهم عماة عن إدراك حقائقها بأحداقهم، عناة في يد التقليد لا يمن
عليهم بجز نواصيهم وإطلاقهم، ثم إن أملأ العلوم بما يغمر القرائح، وأنهضها
بما يبهر الألباب القوارح، من غرائب نكت يلطف مسلكها، ومستودعات أسرار يدق
سلكها، علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه وإجالة النظر فيه كل ذي علم، كما ذكر الجاحظ
في كتاب نظم القرآن، فالفقيه وإن برز على الأقران في علم الفتاوى والأحكام،
والمتكلم وإن بز أهل الدنيا في صناعة الكلام، وحافظ القصص والأخبار وإن كان من
ابن القرية أحفظ، والواعظ وإن كان من الحسن البصري أوعظ، والنحوي وإن كان
أنحى من سيبويه، واللغوي وإن علك اللغات بقوة لحييه، لا يتصدى منهم
أحد لسلوك تلك الطرائق، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق، إلا رجل قد برع في علمين
مختصين بالقرآن، وهما علم المعاني والبيان، وتمهل في ارتيادهما آونة، وتعب في التنقير

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)